I.B.6.1.a.2.e.2.

ISSN 1411-0881

Profetika

JURNAL STUDI ISLAM

Program Magister Studi Islam

KONSEP SUNNAH-BID'AH DALAM MUHAMMADIYAH DAN IMPLIKASINYA DALAM MEMAHAMI AGAMA DAN BUDAYA
Syamsul Hidayat

حواروصراع : القيم في القرآن وحياة الأمم
Muhammad Muinudinillah Bisri

PENDEKATAN SAINS DALAM STUDI (AGAMA) ISLAM
Kadarusman

STRATEGI PENINGKATAN PROFESIONALISME DOSEN PADA PERGURUAN TINGGI MUHAMMADIYAH
Samino

Vol. 8, No. 2, Juli - Desember 2006

PROFETIKA

Jurnal Studi Islam
Vol. 8, No. 2, Juli - Desember 2006

DAFTAR ISI

Pengantar Penyunting

Artikel Uama:

KONSEP SUNNAH-BID'AH DALAM MUHAMMADIYAH DAN IMPLIKASINYA DALAM MEMAHAMI AGAMA DAN BUDAYA
Syamsul Hidayat ❑ 125 - 139

حوار وصراع: القيم في القرآن وحياة الأمم
Muhammad Muinudinillah Bisri ❑ 140 - 163

PENDEKATAN SAINS DALAM STUDI (AGAMA) ISLAM
Kadarusman ❑ 164 - 177

Artikel Lepas:

STRATIGI PENINGKATAN PROFESIONALISME DOSEN PADA PERGURUAN TINGGI MUHAMMADIYAH
Samino ❑ 178 - 191

ETIKA DALAM KEHIDUPAN GLOBAL
Imam Suraj ❑ 192 - 205

حِوَارٌ وَصِرَاعٌ
الْقِيَمِ فِي الْقُرْآنِ وَحَيَاةِ الْأُمَمِ

محمد معين دين الله بصرى
Universitas Muhammadiyah Surakarta

خلاصة البحث

الإنسان فردا أو جماعة، وإن كان أصلهم نفساً واحدة، وخالقهم واحد، ولكن لا ينكر أن العلاقات بين الناس قد تأخذ صورة الصراع، وقد تأخذ صورة الحوار، والقرآن الكريم ينظر إلى هذا الأمر على أنه من سنن الله.

إن الله قد بين الحق والباطل ويعطى الناس حرية الخيار، فبعضهم ينجح في الامتحان فيتبع الحق، وبعضهم وقع في خطأ ولكن لا يزال يبحث عن الحق، وبعضهم يفشل في الامتحان ويغرق في الشهوات، ويحدث الحوار الفكري من جانب، والصراع الفكري من جانب آخر، القرآن الكريم يعترف بوجود تعدد الفكر، ولكن لا يقر الباطل على كونه حقا وما منهج القرآن في نصر قيم الحق على مستوى النظرية والتطبيق، وهذا الذي أجابت عنه هذه الدراسة.

Abstrak

Manusia, baik indifidu maupun komunal walaupun asal usulnya dari jiwa yang satu, Pencipta mereka satu, tapi tak dipungkiri bahwa komunikasi pemikiran diantara manusia bisa berbentuk dialog dan bisa pula berbentuk konflik, Al-Qur'an berpandangan bahwa perbedaan nilai adalah sunnatullah, Allah telah menerangkan kebenaran dan kebatilan, memberikan manusia kebebasan memilih, sebagian mereka lulus dalam ujian, lantas mengikuti kebenaran, sebagian mereka walaupun dalam kesalahan tapi tetap mencari kebenaran, sebagian mereka gagal dalam ujian dan terjerembab dalam hawa nafsu, maka muncul lah dialog pemikiran dalam satu sisi, dan terjadi konflik nilai dari sisi lainnya, Al-Qur'an mengakui adanya keragaman idiologi pemikiran, walaupun tidak mengakui kebatilan sebagai kebenaran, dan apa konsep Al-Qur'an dalam memenangkan nilai kebenaran, baik dari sisi teoritik maupun dalam tataran sosial. Inilah yang dijawab dalam makalah ini

Kata Kunci: Nilai, dialog, konflk.

تمهيد

إن البشر والأمم منحدرون من نفس واحدة، وأن خالقهم واحد، ومرجعهم جميعاً إلى خالقهم، ويحصل بسببه التحاور والتفاهم والتعاون بل التكافل للوصول إلى سعادتهم، لكن كثيراً ما يحصل من بعضهم الخلاف في تحديد الحق والخير، وقد يصل الخلاف إلى حد الشقاق والتنازع بل التقاتل على القيم التي يعتقدها كل واحد منهم أنها حق وصواب.

وهذا الحوار في بعض الأحيان والشقاق والتقاتل في الأخرى لها خلفيات وأسباب يمكن أن نفهمها ونتخذ من خلالها الموقف الصحيح لتقريب الشقة، والقرآن الكريم كتاب هداية وعلم وحضارة، يعرض على الناس القيم الربانية، واستطاع من خلال إيمان الناس بها أن ينشئ أمة كبيرة لها جذور في أعماق تاريخ البشرية، ولها فروع تظلل مساحة واسعة من الأرض المعمورة خلال قرون طويلة.

وقد بين القرآن الكريم أن الصراع قائم بمشيئة الله، وله حكم بالغة وراء ذلك، قال تعالى :

[تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ] [1]

"إن هذا الاقتتال لم يقع مخالفاً لمشيئة الله . فما يمكن أن يقع في هذا الكون ما يخالف مشيئته - سبحانه - فمن مشيئته أن يكون هذا الكائن البشري كما هو . بتكوينه هذا واستعداداته للهدى وللضلال . وأن يكون موكولاً إلى نفسه في اختيار طريقه إلى الهدى أو إلى الضلال . ومن ثم فكل ما ينشأ عن هذا التكوين وإفرازاته واتجاهاته داخل في إطار المشيئة؛ وواقع وفق هذه المشيئة.

كذلك فإن اختلاف الاستعدادات بين فرد وفرد من هذا الجنس سنة من سنن الخالق ، لتنويع الخلق - مع وحدة الأصل والنشأة - لتقابل هذه الاستعدادات المختلفة وظائف الخلافة المختلفة المتعددة المتنوعة . وما كان الله ليجعل الناس جميعاً نسخاً مكررة كأنما طبعت على ورق « الكربون » على حين أن الوظائف اللازمة للخلافة في الأرض وتنمية الحياة وتطويرها متنوعة متباينة متعددة . . أما وقد مضت مشيئة الله بتنويع الوظائف فقد مضت كذلك بتنويع الاستعدادات ليكون الاختلاف فيها وسيلة للتكامل . وكلف كل إنسان أن

[1] سورة البقرة الآية : 253

يتحرى لنفسه الهدى والرشاد والإيمان . وفيه الاستعداد الكامن لهذا ، وأمامه دلائل الهدى في الكون ، وعنده هدى الرسالات والرسل على مدار الزمان . وفي نطاق الهدى والإيمان يمكن أن يظل التنوع الخير الذي لا يحشر نماذج الناس كلهم في قالب جامد![2]

إلا أنه مهما وجد الصراع، فقد ولد بقدره ورحمته الأجيال الربانيون الذين يحملون الحق ويهدون به، "[أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا]. [3] " [وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون] "[4]

يهدف هذا البحث تصوير أنواع القيم في القرآن الكريم وكيفية تثبيت قيمه في قلوب الأمة، ثم الكشف عن حقيقة وأسرار العلاقة الحضارية بين الناس والصراع الفكري العقدي المستمر بين الكفر والإيمان، وذلك من خلال دراسة ما يعرضه القرآن وتنزيله في واقع حضارات الناس.

الفصل الأول :

مفهوم القيم موضوعه وأنواعه.

المبحث الأول : مفهوم القيم.

القيم جمع القيمة وهي المعيار لمعرفة قدر الأشياء والأشخاص والأفعال والأفكار، وتطلق كلمة القيم على صفة في شئ تجعله موضع تقدير واحترام أي أن هذه الصفة تجعل ذلك الشيء مطلوبًا ومرغوبًا فيه ، سواءً كانت الرغبة عند شخص واحد ، أو عند مجموعة من الأشخاص . مثال ذلك إن الحق شيء غالي عند أصحاب الدعوات الإصلاحية، وأن للنسب عند الأشراف قيمة عالية ، وللحكمة عند العلماء قيمة عظيمة ، وللشجاعة عند الأمراء قيمة مرغوبة ، ونحو ذلك[5].

المبحث الثاني : موضوع القيم.

هو البحث عن الموجود من حيث هو مرغوب فيه لذاته ، والنظر في قيم الأشياء ، وتحليلها، وبيان أنواعها وأصولها، فإن فسرت "القيمة" بنسبتها إلى الصور الغائبة، المرتسمة على صفحات الذهن، كان تفسيرها مثاليًا ، وإذا فسرت بأسباب طبيعية أو نفسية أو اجتماعية، كان تفسيرها وجوديًا. وخير تفسير للقيم ما جمع بين الاثنين ، المعنى المثالي ، والمعنى الطبيعي ، إذ لا يمكن تصور أحد هذين المعنيين في القيمة،

[2]) سيد قطب، في ظلال القرآن، 284/1
[3]) سورة مريم الآية : (58).
[4]) السجدة الآية : (24).
[5]) مفرح القبيسي، المقدمات في الثقافة الإسلامية ص23، القيم الإسلامية ص 1

دون الآخر، ولولا ذلك، لما كان للقيمة وجود، ولا للوجود قيمة[6].

وقسم الدكتور ماجد عرسان الكيلاني موضوعات القيم إلى ثلاثة أقسام، وهي :

ا. قيم جمالية يحكم بها بواسطتها على جمال الأعمال الفنية والطبيعية والمظاهر الشخصية واللباس والبناء والمعروضات المختلفة.

ب. قيم ذرائعية يحكم بها على الذرائع والوسائل المستعملة لتحقيق أهداف معينة كأساليب الحوار والكلام والتجمع وأخلاقيات التناقس والاختلاف في الرأي.

ت. قيم أخلاقية وهي مبادئ يحكم بها على صواب الغايات والأعمال.[7]

المبحث الثالث : أنواع القيم

وتتنوع القيم في مجملها إلى أربعة متقابلة أي ينظر إلى الأشياء والأشخاص والأفكار على كونه حقا أو باطلا، جميلا أو قبيحا، خيرا أم شرا، نافعا أو ضارا. ولكن هل يكون نظر الإنسان إلى كون الشيء حقا، جميلا، خيرا، ونافعا يكون في نفس الوقت كذلك، أم قد يكون عكس ذلك، أي قد يكون في حقيقة أمره باطلا قبيحا وشرا وضارا، وقد ينظر المرء إلى الشيء بأنه باطل وشر وضار وقبيح كنظر المشركين إلى الإسلام وتعاليمه مع أنه حق وخير ونافع وجميل.

وقرر القرآن بأن القيم تتنوع في مجملها إلى قيم الإيمان والكفر، ومعنى قيم الإيمان أن يكون تقويم الأشياء والأفكار والأشخاص من حيث أحقيته ونفعه وخيريته وجماله من منظور الإيمان بالله واليوم الآخر، ومعنى قيم الكفر أن يكون تقويم الأشياء من منظور الحياة المادية مع تنكر وجود الله واليوم الآخر، فتنبني قيم الإيمان على الجمع بين النظر المعنوي والمادي وبينما تقوم قيم الكفر على النظر المادي البحت."[8] قال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)[9]

المبحث الرابع : أهمية القيم .

القيم أهم الأشياء لدى الإنسان فهي التي تحدد سلوكه، وتكوّن فكره،

---

[6]) القيم الإسلامية ص ا

[7]) الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية ص 305

[8]) ينظر د/ ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية ص 306 وما بعدها.

[9]) سورة الإسراء الآية : 18-20.

فبقدر عظمة قيمه وصحتها تكون سمو نفسه وفكره وسلوكه، وطموحاته، فإن كان الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ورضاه قيمة عليا عند المرء فتتجسد مواصفات الإيمان فيه من صلاح وبرّ وتواضع وحب الخير للناس، وإخلاص، وإن كان العلم قيمة عالية لدى المرء أصبح همه طلب العلم وتعليمه. فإن كان البر والجمال والخير والحق قيمة في حياته، لا يطمئن قلبه ولا تستريح نفسه إلا إذا كانت أفعاله وسلوكياته تتضمن هذه القيم. (10)

وتظهر أهمية القيم أن شكل مستقبل أي مجتمع على القيم التي يختارها أكثر من اعتماده على زيادة تقدم التكنولوجيا، وأن تغيير القيم المستقرة في نفوس الناس أساس في إصلاح سلوك الناس وتغيير أوضاعهم، وهذا واضح جدا حيث كثيرا ما يلاحظ أن الإنسان قد يقابل امرءا بحفاوة واحترام لما اعتقد فيه من صلاح وخير، ثم يقابله في وقت آخر ببيرودة لما تتغير نظرته إليه، وقد ينشط المرء للدعوة، لما يحضر في ذهنه ما تضمنه من منافع وبرّ ثم يتكاسل فيها لما تذهب من ذهنه تلك المعاني، وعليه إذا أراد الداعية أو المصلح أن يغيرّ سلوكاً، فليغير نظرة من أراد أن يغير سلوكه، فمن أراد أن يترك صاحبه معصية فليقبح تلك المعصية في نظره، وإذا أراد أن يفعل صاحبه فليخلق تصوراً حسناً عما أراد أن يعمل به.

المبحث الخامس : أسباب اختلاف القيم عند الناس

ينبغي أن تفرق بين حقيقة قيمة الأشياء والأفكار وبين تقويم الناس لها، أما الأولى فهي ثابتة، وأما الأخرى فقد اختلفت نظرة الناس إليها، وهذا شامل في الأمور العقدية والأخلاق، والأشياء، ففي الأور العقدية أن الإسلام هو دين الحق عرف بعقل صريح ونقل صحيح وفطرة سليمة، لكن الكفار يحاربونه على كونه ديناً باطلا، والزنا و اللواط فهما باطلان وشرّان، وينظر إليهما معظم الناس كذلك، ولكن ينظر إليه بعض الناس إلى أنهما حق من حقوق الناس بل يحافظ عليهما بعض الأنظمة(11). ومثله المخدرات فعند مروجيها ومستعمليها فهي مربحة مصدر الرفاهية، ولكن كل الدول ينظر إلى ناحية أخرى بكونها سبب دمار وخراب البلاد والعباد.

هذا الاختلاف سببه الاختلاف في آلة الرؤية أو المعيار، حيث إن تقويم الأشياء يتناول ناحيتين، الأولى النظر

(10) محمد قطب، كيف ندعو الناس، ص 140

(11) محمد قطب، جاهلية القرن العشرين، محمد قطب ص 35.

المادي الخارجي، وهذا يحتاج إلى البصر والنور والعقل المادي، والناحية الثانية النظر إلى حقيقة الشيء، وهذا يحتاج إلى بصيرة أو عين القلب ونور البصيرة وهو الوحي والإلهام الرباني، فكما تتعذر عين البصر أن تدرك صورة الأشياء إلا بنور المصباح أو الشمس فكذلك تعجز عين البصيرة أن تعرف حقيقة الأشياء إلا بنور الوحي. والإشكالية تأتي من خلال الوصول إلى معرفة الوحي والإيمان به، والاستفادة من قوة العقل لإدراك صدق الرسول ليتوصل به إلى اليقين بصحة الوحي الذي أرسل به، والمسلمون قد استفادوا من عقولهم فدرسوا شمائل الأنبياء صلى الله عليهم وسلم فآمنوا بهم ودرسوا كلام الأنبياء وما بلغوا به من الرسالة ووجدوا فيه الحق والصواب ما يوافق فطرتهم فاتبعوه وطبقوه في حياتهم، واتخذوه مصباحاً ونوراً لحياتهم كما قال تعالى :

(وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [12]، وقال : (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا)[13]

وقال: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ)[14]

(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) [15]

وأما الفريق الثاني غلبت عليهم الشهوة والتعصب فلا يستطيعوا الاستفادة من عقولهم لمعرفة الحق فأنكروه وحاربوه لأنهم يرون أن الأنبياء وأنصاره حائلين لهم للوصول إلى إشباع رغباتهم كما بين ذلك سبحانه وتعالى :

" (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) "[16]

أي أن فرعون قد عرف بقلبه أن موسى حق ولكن الشهوة قد سيطرت عليه فجحد الحق وحارب حامله. وكذلك

[12]) سورة الحج الآية (54)

[13]) سورة الإسراء الآية : 107 - 108

[14]) سورة العنكبوت الآية : (49).

[15]) سورة الشورى الآية : 52-53

[16]) سورة القصص الآية : (14)

يشق قبول الحق على كل ظالم متبع هواه، قال تعالى :

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13))[17]

الفصل الثاني
الحوار بين القيم وآدابه

المبحث الأول : أهميته الحوار بين القيم وعلاقة بين أصحاب القيم قد تكون علاقة الصراع وقد تكون علاقة الحوار، أما الصراع فبين قيم الباطل والباطل، كالصراع بين الماركيسية والرأسمالية، وقد يكون بين الحق والباطل كما بين الإسلام والكفر، أما بين الحق والحق فلا يكون الصراع أبدا لأن الحق واحد، لكن قد يحمل الإنسان الحق ومعه بعض الباطل أو الخطاء لا يدركه أو لا يشعر، والآخر يحمل الحق الذي أخطأ فيه الأول كما يحمل بعض الباطل في جانب آخر، ويريد كل منهما أن يبحث عن الحق أينما وجد، فيحصل الحوار لإدراك جانب الحق فيتبعه ويكشف عن جانب الباطل فيتركه، وهذا الحوار ينبغي أن يستمر بين أصحاب الدعوات الإصلاحية لأن الحق ثابت ولكون قوة إدراك الإنسان ليست في مرتبة واحد فلذلك قد يعتقد المرء عقيدة معينة على أنها الحق ثم تبين خطأها بعد الحوار العلمي الهادئ، الحق واحد ولكن موضوعه واسع لا يحيط به المرء، لذلك اختلف المجتهدون الفقهاء في الأحكام الفرعية الكثيرة وقد بين الرسول احتمال عدم إصابة الحق من بعضهم، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم " (إن الوالي إذا اجتهد فأصاب الحكم فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد)[18]

يحرص الإسلام على الحوار وإن كان مع أصحاب القيم الباطلة، كما يحرص على حسن الموقف والإنصاف في النظر إلى الأفكار والقيم، ويوصي المسلمين بالحوار الهادئ، وحسن التعامل إلا مع الفجرة الكفرة الظلمة الذين لا يريدون الخير والحق، لأن الحوار الهادئ مع حسن التعامل يحمل الناس على قبول الحق ويعينهم عليه، فقد أمر المسلمين إذا جادلوا مخالفيهم أن يجادلوا بالتي هي أحسن قال تعالى " (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا

[17]) سورة الشورى : الآية : (15)

[18]) رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم : (20674)

بالذي انزل إلينا وانزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)"[19]

بل وضع الرسول نفسه عند الحوار موضع باحث عن الحق ونادى بضرورة أن ينظر في كل مسألة نظرة موضوعية، هو وخصمه سواء " قال تعالى: " (قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (24) قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون (25) قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم)"[20] وهذا لا يعني أن الرسول يشك في صحة عقيدته، كلا ولكنه أسلوب الحوار حتى يشعر الخصم بأنه يستعد أن يستمع إلى خصمه حتى يستعد خصمه أن يستمع إليه كذلك.

وللحوار أهميته الكبرى وأهدافه السامية، ومن أهدافه إيجاد حلٌ وسط يُرضي الأطراف، والتعرُّف على وجهات نظر الطرف أو الأطراف الأخرى، وهو هدف تمهيدي هام. ومن أهداف الحوار البحث والتنقيب، من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنويع الرُّؤى والتصورات المتاحة، من أجل الوصول إلى نتائج أفضل وأمكن ، ولو في حوارات تالية، وبالحوار العلمي الهادئ مع أصحاب الأديان الأخرى تظهر مكامن نفوس الرجال ممن صفت نفوسهم فيتقبلون الحق بعد ظهوره، كما تظهر من سيطر عليه كبرياؤه العلمي، واستولت عليه شهواته فيرفضون الحق، وقد جرت الحوارات الكثيرة بين الدعاة المسلمين وبين النصارى واليهود، كما كتب د/ عبد الله أحمد قادري الأهدل كتاب " حوارات مع أوروبيين غير مسلمين" ومن خلال حواراته ظهرت أسباب انصرافهم عن الإسلام، فيشتغل الشيخ بتصحيح التصور[21].

الخلاف واقع بين الناس في مختلف الأعصار والأمصار ، وهو سنة الله في خلقه ، فهم مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطباعهم ومُدركاتهم ومعارفهم وعقولهم ، وذلك آية من آيات الله ، نبّه عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)[22]

المبحث الثاني : آداب الحوار

للوصول إلى قيم الحق والجمال والبرّ في كل المسألة جملة وتفصيلا يحتاج إلى التعاون الفكري بين طلاب الحق عن طريق الحوار الهادئ المهذب، مع الإلتزام بآداب الحوار حتى

[19]) سورة العنكبوت الآية : (46)
[20])سورة فاطر الآية : 24-26

[21]) القادري، عبد الله، حوارات مع اوروبيين 76 وبعدها
[22]) سورة الروم الآية : 21

لا ينقلب الحوار إلى الصراع، وقد أرشد الإسلام إلى تلك الآداب وهي:

1- الإخلاص والتجرُّد.

إن الإخلاص لله والحرص على إتباع الحق ، والسعي للوصول إليه، هو الذي يقود الحوار إلى طريق مستقيم لا عوج فيه ولا التواء، أو هوى الجمهور، أو الأتباع .. والعاقل – فضلا عن المسلم – الصادق طالبٌ حقٌّ ، باحثٌ عن الحقيقة ، ينشد الصواب ويتجنب الخطأ[23] .يقول الغزالي: (التعاون على طلب الحق من الدين ، ولكن له شروط وعلامات؛ منها أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة ، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد معاونه . ويرى رفيقه معيناً لا خصماً . ويشكره إذا عرَّفه الخطأ وأظهره له).

- ومن مقولات الإمام الشافعي المحفوظة: (ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يُوفق ويُسدد ويُعان ، وتكون عليه رعاية الله وحفظه). (24)

2- التزام القول الحسن.

إن من أهم ما يتوجه إليه المُحاور في حوار ، التزام الحُسنى في القول والمجادلة، ففي محكم التنزيل : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[25]. (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [26]

- فحق العاقل اللبيب طالب الحق ، أن ينأى بنفسه عن أسلوب الطعن والتجريح والهزء والسخرية ، وألوان الاحتقار والإثارة والاستفزاز .
- ومن لطائف التوجيهات الإلهية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الباب ، الانصراف عن التعنيف في الردّ على أهل الباطل ، حيث قال الله لنبيه : (وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ.اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)[27]وقوله : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[28]. مع أن بطلانهم ظاهر ، وحجتهم داحضة .

3- اجتناب إيقاع الخصم في الإحراج، فإن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف، وقد تُفحم الخصم ولكنك لا تقنعه، وقد تُسكته بحجة ولكنك لا تكسب تسليمه وإذعانه ، وأسلوب التحدي يمنع التسليم ، ولو وُجدت القناعة العقلية . والحرص على القلوب واستلال السخائم

---

[23]) الصويان، أحمد عبد الرحمن، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، ص

[24]) نقلا عن صالح الحميد، أصول الحوار وآدابه ص 30

25) سورة الإسراء الآية : 54

26) سورة النحل الآية : 124

27) سورة الحج الآية :67- 68

28) سورة سبأ الآية : 24

أهم وأولى عند المنصف العاقل من استكثار الأعداء واستكفاء الإنباء.

على أن هناك بعض الحالات الاستثنائية التي يسوغ فيها اللجوء إلى الإفحام وإسكات الطرف الآخر وذلك فيما إذا استطال وتجاوز الحد ، وطغى وظلم وعادى الحق، وكابر مكابرة بيّنة ، وفي مثل هذا جاءت الآية الكريمة : (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)[29]. (لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ)[30] ففي حالات الظلم والبغي والتجاوز ، قد يُسمح بالهجوم الحادّ المركز على الخصم وإحراجه، وتسفيه رأيه؛ لأنه يمثل الباطل، وحَسَنٌ أن يرى الناس الباطل مهزوماً مدحوراً[31].

4- ومما يتمم الآداب السابق عدم إغلاظ القول ورفع الصوت، فإن إغلاظ القول، ورفع الصوت، وانتفاخ الأوداج، لا يولد إلا غيظاً وحقداً وحنقاً ومن أجل هذا فليحرص المحاور ألا يرفع صوته أكثر من الحاجة، فهذا رعونة وإيذاء للنفس وللغير، ورفع الصوت لا يقوّي حجة ولا يجلب دليلاً ولا يقيم برهاناً، بل إن صاحب الصوت العالي لم يَعْلُ صوته – في الغالب – إلا لضعف حجته وقلة بضاعته، فيستر عجزه بالصراخ ويواري ضعفه بالعويل. وهدوء الصوت عنوان العقل والاتزان، والفكر المنظم والنقد الموضوعي، والثقة الواثقة، على أن الإنسان قد يحتاج إلى التغيير من نبرات صوته حسب استدعاء المقام ونوع الأسلوب، لينسجم الصوت مع المقام والأسلوب ، استفهاميا كان، أو تقريرياً أو إنكارياً أو تعجبياً، أو غير ذلك. مما يدفع الملل والسآمة ، ويُعين على إيصال الفكرة، ويجدد التنبيه لدى المشاركين والمتابعين.

5- سلوك الطرق العلمية والتزامها، ومن هذه الطرق، تقديم الأدلة المُثبِتة أو المرجِّحة للدعوى، صحة تقديم النقل في الأمور المنقولة[32].

وفي هذين الطريقين جاءت القاعدة الحوارية المشهورة: (إن كنت ناقلاً فالصحة ، وإن كنت مدّعياً فالدليل). وفي قوله سبحانه:(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[33]في أكثر من سورة. و(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي)[34](قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[35].

29) سورة العنكبوت الآية : 46
30) سورة النساء : 148
31) صالح الحميد، أصول الحوار ومبادئه ص 33

32) صالح الحميد، أصول الحوار ومبادؤه ص 37، ينظر: الصويان، أحمد عبد الرحمن، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، ص 77
33)البقرة الآية : 111
34) الأنبياء الآية : 24
35) سورة آل عمران الآية : 93

6- حسن الاستماع وأدب الإنصات وتجنب المقاطعة.

كما يطلب الالتزام بوقت محدد في الكلام ، وتجنب الاطالة قدر الإمكان ، فيطلب حُسن الاستماع ، واللباقة في الإصغاء ، وعدم قطع حديث المُحاور . وإنّ من الخطأ أن تحصر همّك في التفكير فيما ستقوله ، ولا تُلقي بالاً لمُحدثك ومُحاورك [36]، وقد قال الحسن ابن علي لابنه ، رضي الله عنهم أجمعين : (يا بنيّ إذا جالست العلماء ؛ فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتعلم حُسْنَ الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ، ولا تقطع على أحد حديثاً – وإن طال– حتى يُمسك) .

ويقول ابن المقفع : (تعلّمْ حُسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ؛ ومن حسن الاستماع : إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه . وقلة التلفت إلى الجواب . والإقبال بالوجه . والنظر إلى المتكلم . والوعي لما يقول) .

لا بدّ في الحوار الجيّد من سماع جيّد ؛ والحوار بلا حُسْن استماع هو (حوار طرْشان) كما تقول العامة ، كل من طرفيه منعزل عن الآخر. وإن السماع الجيّد يتيح القاعدة الأساسية لالتقاء الآراء وتحديد نقاط الخلاف وأسبابه.

وإن حسن الاستماع يقود إلى فتح القلوب، واحترام الرجال وراحة النفوس، تسلم فيه الأعصاب من التوتر والتشنج، كما يُشْعِرُ بجدّية المُحاور، وتقدير المُخالف،وأهمية الحوار، ومن ثم يتوجه الجميع إلى تحصيل الفائدة والوصول إلى النتيجة[37].

7- تقدير الخصم واحترامه :

ينبغي في مجلس الحوار التأكد على الاحترام المتبادل من الأطراف، وإعطاء كل ذي حق حقه، والاعتراف بمنزلته ومقامه، بأن يخاطبه بالعبارات اللائقة، والألقاب المستحقة، والأساليب المهذبة، فإن تبادل الاحترام يقود إلى قبول الحق، البعد عن الهوى، والانتصار للنفس، أما انتقاص الرجال وتجهيلها فأمر معيب مُحرّم.

وما قيل من ضرورة التقدير والاحترام ، لا ينافي النصح ، وتصحيح الأخطاء بأساليبه الرفيعة وطرقه الوقورة. فالتقدير والاحترام غير المَلَق الرخيص، والنفاق المرذول، والمدح الكاذب، والإقرار على الباطل.

8- حصر المناظرات في مكان محدود :

[36]) الصويان، أحمد عبد الرحمن، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، ص 108

[37]) صالح الحميد، أصول الحوار ومبادؤه ص 39

- يذكر أهل العلم أن المحاورات والجدل ينبغي أن يكون في خلوات محدودة الحضور؛ وذلك: أجمع للفكر والفهم، وأقرب لصفاء الذهن، وأسلم لحسن القصد، وإن في حضور الجمع الغفير ما يحرك دواعي الرياء، والحرص على الغلبة بالحق أو بالباطل[38].
- ومما استدل به على ذلك قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)[39]. قالوا : لأن الأجواء الجماهيرية والمجتمعات المتكاثرة تُغطي الحق، وتُشوّش الفكر، والجماهير في الغالب فئات غير مختصة ؛ فهي أقرب إلى الغوغائية والتقليد الأعمى ، فيلتبسُ الحق .
- أما حينما يكون الحديث مثنى وفرادى وأعداداً متقاربة يكون أدعى إلى استجماع الفكر والرأي ، كما أنه أقرب إلى أن يرجع المخطيء إلى الحق ، ويتنازل عما هو فيه من الباطل أو المشتبه .
- بخلاف الحال أمام الناس ؛ فقد يعزّ عليه التسليم والاعتراف بالخطأ أمام مؤيّديه أو مُخالفيه.

[38]) نفس المرجع ص 40
[39]) سبأ الآية : 46.

الفصل الثالث :
جذور صراع القيم وأسبابه.

المبحث الأول : جذور صراع القيم

وإن كان الإسلام يحرص كثيراً على الدعوة إلى الخير والحوار الهادئ للوصول إلى الحق إلا أن الله قد أخبر بواقع المجتمعات، بأن كثيراً من الناس قد غلبت شهواتهم على عقولهم وفطرتهم فعادوا الحق على معرفة وعلم بأنه الحق، كما أخبر عن فرعون في حربه على موسى" (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ))[40]" أي أن فرعون جحد بلسانه معجزة موسى الدالة على صدقه مع يقينه بأنه رسول الله حقاً" وكذلك أخبر الله عن يهود والنصارى بأنهم عرفوا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم، مع ذلك حاربوا رسول الله " (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [41] فهم عرفوا أنفسهم على الباطل وتعمدوا إبطال الحق بباطلهم "(وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا) [42]

[40]) سورة النمل الآية : 14
[41]) سورة البقرة الآية : 146
[42]) سورة الكهف الآية : 56

يرجع جذور صراع القيم إلى بداية خلق الناس، منذ أن أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، فسجدوا جميعاً وأبى إبليس السجود لقيم خاطئة اعتقدها بأن نفسه خير من آدم فتكبر وأملته شهوته أن نفسه فوق أمر الله، ، ولما لعنه الله على معصيته اشتد حقده على آدم فأقسم أن يقيم حرباً عليه وعلى ذريته قال تعالى : " (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ))"[43]

ويظهر صراع القيم من خلال ما علمه الله آدم أن أسباب السعادة الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه حيث بوأ الله آدم وزوجته حواء الجنة ووعده بأن لا يظمئا فيها ولا يعرا وحذرهما من اقتراف شجرة لأن لا يشقاء والقيم في هذا أن في طاعة الله من امتثال الأمر وانتهاء النهي سعادة، وفي مخالفة أمره تعاسة، قال تعالى :

(فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى)[44]

وكانت هذه رعاية من الله وعنايته ان ينبه آدم إلى عدوه ويحذره غدره ، عقب نشوزه وعصيانه ، والامتناع عن السجود لآدم كما أمره ربه . { فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى } فالشقاء بالكد والعمل والشرود والضلال والقلق والحيرة واللهفة والانتظار والألم والفقدان . . كلها تنتظر هناك خارج الجنة؛ وأنت في حمى منها كلها ما دمت في رحاب الفردوس . . { إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى } . . فهذا كله مضمون لك ما دمت في رحابها ، والجوع والعري ، يتقابلان مع الظمأ والضحوة . وهي في مجموعها تمثل متاعب الإنسان الأولى في الحصول على الطعام والكساء ، والشراب والظلال[45]

حارب إبليس هذه القيم وصورها عكس حقيقتها وهي أن النهي عن إقتراب الشجرة لا لأجل أن لا يشقى،

[43] سورة الأعراف الآية : 12-18 .

[44] سورة طه الآية : 117-118

[45] في ظلال القرآن 4/ 2354

بل لأن لا يكون من الخالدين أي أن أكل الشجرة المنهي اقترابها سبب الخلود،

(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى)

وآدم كان غفلاً من التجارب . وهو يحمل الضعف البشري تجاه الرغبة في البقاء والرغبة في السلطان . ومن هذه الثغرة نفذ إليه الشيطان.

لقد لمس في نفسه الموضع الحساس ، فالعمر البشري محدود ، والقوة البشرية محدودة . من هنا يتطلع إلى الحياة الطويلة وإلى الملك الطويل ، ومن هاتين النافذتين يدخل عليه الشيطان ، وآدم مخلوق بفطرة البشر وضعف البشر ، لأمر مقدور وحكمة مخبوءة . . ومن ثم نسي العهد ، وأقدم على المحظور :

فاغترّ بقوله آدم وحوى فأكلا منها فوقعا فيما حذرهما الله منه، قال تعالى :

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)[46].

ولكن سرعان ما أدرك خطاه ورجع إلى قيم الله واعترف بذنوبه وتاب إلى الله " " (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) "[47] وقد تاب الله عليه، ثم أنزله الله إلى الأرض وأعلمه بأن الصراع بينه وبين إبليس سيستمر إلى يوم القيامة " (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) "[48]

وهذا الصراع يستمر بين إبليس وجنوده وبين ذرية آدم من المؤمنين " (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا) "[49]

" (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا

[46]) سورة طه الآية : 121
[47]) سورة طه الآية آية 121-122.
[48]) سورة طه الآية : الآية : 122-125 .
[49]) سورة الإسراء الآية 61-65

الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (50)

وقد قدر الله أن جعل لكل نبي ورسول وأتباعهم أعداءً يحاربونهم فكريا وجسدياً " (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ)"[51]

(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ))"[52]

المبحث الثاني : أسباب صراع القيم.

إن وراء صراع الناس واختلافهم في تحديد ما هو الحق والخير والجمال أسباباً، في معرفتها فوائد في أخذ الموقف الصحيح تجاه هذا الخلاف، وقد بين القرآن هذه الأسباب وهي :

الأول : الجهل.

إن المرء عدوّ لما جهله، فقد يرى الحق باطلاً فيحاربه ويرى الباطل حقاً فينصره، ويكذب بما لم يحط بعلمه، قال تعالى : (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) [53]،والمعنى أنهم سارعوا إلى التكذيب بالقرآن في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه . وإنما يكون مثل هذا التكذيب عن مكابرة وعداوة لا عن اعتقاد كونه مكذوباً . ثم إن عدم الإحاطة بعلمه متفاوت : فمنه عدم بحث وهو حال الدهماء ، ومنه عدم في الجملة وهو ما يكون بضرب من الشبهة والتردد أو يكون مع رجحان صدقه ولكن لا يحيط بما يؤدي إليه التكذيب من شديد العقاب" [54]

وإن كان الخلاف لسبب الجهل البسيط مع إرادة صاحبه للعلم ولم يخالطه غرور خلاف هين، لأنه إذا انكشف الجهل ووضح الحق سرعان ما يرجع الناس إلى الحق واستسلموا له.

الثاني : التعصب والشهوة.

إن مرض التعصب والشهوة إذا استولى على الإنسان يعمي بصره عن رؤية الحق، وإن أقر بقلبه ولكنه يجحد بلسانه، والتعصب يشمل التعصب لأحد أو التعصب على أحد، فمن تعصب لأحد لا يرى الحق إلا ممن تعصب له، ويرى كل ما يخالفه باطل،

---

50) سورة الإسراء الآية : 28
51) سورة الأنعام الآية : 112- 113
52) سورة الذاريات الآية : 52

53) سورة يونس الآية : 39
54) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المكتبة الشاملة ص 213. http://www.altafsir.com

وكذلك من تعصب على أحد لحقد أو لغيره، يرى أن كل ما صدر ممن حقد عليه باطل، فهو يفقد الموضوعية في الرؤية، وكذلك الشهوة إلى تمكنت في قلب الإنسان جعلته لا تنظر الحق إلا ما وافق شهوته ويحارب كل قيم تحول طريق الاستمتاع بالشهوة.

قال تعالى مبينا هذا السبب: " إنما يأتمر بهواه، فمهما رآه حسنا فعله، ومهما رآه قبيحا تركه: وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين.

وعن مالك فيما روي عنه من التفسير: لا يهوى شيئا إلا عبده.

وقوله: { وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ } يحتمل قولين: أحدها (9) وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك. والآخر: وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه. والثاني يستلزم الأول، ولا ينعكس. { وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً } أي: فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئا يهتدي به، ولا يرى حجة يستضيء بها؛ ولهذا قال: { فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } كقوله: { مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } (10)[55].

الثالث : العجب والتكبر.

العجب والتكبر من أكبر الأسباب في الصراع بين القيم، لأنه من رأى نفسه فوق الجميع، يرى أن ما راه هو الحق وحده وما سواه الباطل، ولا يتحمل التفاف الناس حول الحق عند غيره، هذا ما دفعه كبار قوم أهل مكة أن يردّوا دعوة الرسول حيث يقولون : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ } [الأحقاف: 11].

وقد بين الرسول أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نافع في تغيير القيم ما دام ما يتمكن مرض شهوة حب الدنيا والعجب، وإذا تمكن هذان المرضان لا ينفع الحوار ويحل محله الصراع، فقد روى أبو داود بسنده: حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ جَارِيَةَ اللَّخْمِيُّ حَدَّثَنِي أَبُو أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيُّ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : { عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ }، قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ

---

[55]) [الأعراف: 186]

فعليك بنفسك ودع عنك العوام"[56].

وهذا المرض هو الذي دفع اليهود محاربة الرسول مع علمهم بانه رسول الله حقا، كما دفع الغرب في محاربة الإسلام مع علمهم بما يحمله الإسلام من الحق والصدق ومحاسن التعليم التى لا تنكر. قال وزير جارجية بيريطانيا توني بلير : " من وجهة نظري فإن الوضع الذي نواجهه هو حرب حقيقية، ولكن من نوع غير تقليدي نهائيا. نوع لا يمكن الانتصار فيه بطريقة تقليدية، إننا لا نربح المعركة ضد التطرف العالمي إلا إذا ربحنا على مستوى القيم بقدر ما نربحها على مستوى القوة. وهذا التصريح صدر منه مع علمه بفضل الإسلام حيث قال : بالنسبة إلى فإن الشيء الأجدر بالملاحظة فيما يتعلق بالقرآن هو مدى تقديسه. إننى أكتب بخشوع عظيم كشخص من دين آخر كأجنبي يستوقفنى القرآن ككتاب إصلاح، يحاول إعادة اليهودية والنصرانية إلى أصولها، إلى درجة كبيرة مثلما حاول المصلحون أن يفعلوا بالكنيسة المسيحية بعده بقرون، إنه يشيد بالعلم والمعرفة ويمقت الخرافة. إنه عملي متقدم على زمانه في مواقفه تجاه الزواج والنساء والحكم، تحت إرشاده

[56]) رواه ابو داود رقم : 3778، الترمذي رقم : 3058، الحاكم في المستدرك : 7912.

كان انتشار الإسلام، وهيمنته على الأراضي التى كانت تحت المسيحية أو وثنية في الماضي كان يبهر الأنفاس عبر القرون. أنشأ الإسلام امبراطورية وقادحد العالم في الاكتشاف والفن والثقافة.[57]

لكن مع هذا التصريح قد أصر البريطانيا دعم أمريكا في الغزو على بلاد المسلمين أرضا وفكرا ودينا[58].

المبحث الثالث : منهجية القرآن في إثبات القيم الربانية.

من المسلمات العقلية الفكرية أن الله هو الخالق الذي يرجع إليه الأمر كله، وهو صاحب القيم الصحيحة، وقد قضت إرادة الله أن تقوم الحضارة الربانية على قيمه، وقد قامت هذه الحضارة فعلا حيث قامت الخلافة الإسلامية أكثر من عشرة قرون، وقد كلف الله المسلمين بإعادة هذه الحضارة من خلال سلوك هذا منهج الله واستراتيجيته، ويمكن أن نلخص معالم هذه الاستراتيجية في النقاط التالية :

أ- توعية المسلمين بحقيقة القيم الصحيحة والباطلة، فإنه على الرغم من

[57]) http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/m_mutabaat-24-03.htm

[58]) طالع قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد للأستاذ أحمد منصور لقد ذكر جرائم الغرب على بلاد المسلمين تحت قيادة الأمريكا.